التعليم في الدولة الاموية ٤١-١٣٢هـ/٧٠٢-٧٤٩م

Education in the Umayyad State 41-132AH./ 702-749A.D.

Dr. Edham Fadiehl Khattab
Assistant Professor
Al-Hamadaniyah University / College of Education

د. إدهام فاضل خطاب
أستاذ مساعد
جامعة الحمدانية/ كلية التربية

d.daham1951@gmail.com
٠٧٧١٠٤٠٦٥٣٣

تاريخ الاستلام	تاريخ القبول
٢٠١٩/٨/٢٧	٢٠١٩/١١/٤

الكلمات المفتاحية: التعليم – العصر الأموي – حلقات العلم
Keywords: education - the Umayyad period - circles of knowledge

الملخص

كان التعليم في العصر الاموي امتداداً لما كانت عليه الحال في صدر الاسلام(١)، واستجابة للمستجدات التي ظهرت في ذلك العصر، على الصعيد السياسي والاداري والاجتماعي، ظهرت الحاجة الى وجود مراكز جديدة لطلب العلم ونظم حديثة للتعلم. وبدأ ما يمكن ان نسميه الاشراف الرسمي من الدولة على التعليم.

Abstract

Education in the Umayyad state was an extend of what was there in beginning of Islam, and as a response for the updates appeared in that era, on the political, administrative and social level, the need was appeared for setting new centers for knowledge and modern systems of education, and started what is called formal supervision from the state on education.

(١) انظر: احمد شلبي، تاريخ التربية الاسلامية، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٨٠ ص١٥٤؛ عامر بن جبله، تاريخ التربية والتعليم في صدر الاسلام، نشر المؤلف ١٩٩٨ ص١٩٨؛ محمد السيد الوكيل، الحركة العلمية في عصر الرسول (ﷺ) وخلفائه، دار المجتمع، جدة، ١٩٨٥م، ص١٥٨.

اهم مراكز العلم والتعليم في العصر الاموي:

١-الكُتّاب[١].

هو مكان مخصص لتعليم الصبيان القرآن الكريم، ومبادئ الدين الحنيف القراءة والكتابة والحساب[٢]، وكان مكان الكتاب يقع خارج المسجد لا في داخله، خوفاً من عبث الصبية بحرمة المسجد، لأن رواده كانوا من الصغار الذين تتراوح اعمارهم بين الخامسة والسادسة عند الالتحاق به، ولعل ذلك جاء عملا بقول الرسول (ﷺ): "جنبوا مساجدكم صبيانكم ومجانينكم وشراركم وبيعكم وخصوماتكم، ورفع اصواتكم واقامه حدودكم، وسل سيوفكم، واتخذوا على ابوابها المظاهر، وجمروها في الجمع"[٣].

وقد ادى الكتاب دوراً مهماً في نشر التعليم الاولي في مشرق العالم الاسلامي ومغربه لانتشار الكتاتيب في القرى النائية كانتشارها في المدن الكبيرة، وساعد ذلك بساطة مبنى الكتاب الذي لم يكن معقداً، بل تكفيه حجرة من منزل وبأثاث لا يتعدى حصير يطرح على الارض في الحجرة، ويجلس فوقه المعلم، ويتجمع حوله الصبية الصغار يستمعون اليه[٤].

---

(١) الكتاب والمكتب (والجمع الكتاتيب والمكاتب)، ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم (ت٧١١هـ/١٣١١م)، لسان العرب (مادة كتب) ج١/٦٩٩؛ بيروت، طبعة دار صادر (د. ت)؛ الظاهر احمد الراوي: القاموس ط٢، (ليبيا، الدار العربية للكتاب)، ١٩٧٨، ص٥٢٢.

(٢) ينظر: الزركشي، محمد بن عبدالله: اعلام الساجد بأحكام المساجد، تحقيق: ابو الوفا مصطفى المراغي، القاهرة ١٣٨٥هـ ص٣٢٧؛ ابن سحنون محمد: آداب المعلمين، تحقيق: محمد العروسي المطوي، تونس ١٩٦٢ ص١١٤.

(٣) ابن ماجة، محمد بن يزيد القزويني: سُنن، تحقيق محمد عبد الباقي، بيروت، (د.ت)، ج١/ ٢٤٧.

(٤) العقيلي، عمر بن سليمان، تاريخ الدولة الأموية (٤١-١٣٢هـ)، ط٢، الجمعية التاريخية السعودية، سلسلة الأعمال العلمية المحكمة، الرياض، ٢٠٠٦، ص١٦٢.

٢- اماكن وجود الكتاب:

فقد انتشر في جميع انحاء الدولة الاموية، فقد وجد الكتاب في مكة: فيروى أن عطاء بن ابي رباح، مولى بني فهد (ت١١٥هـ/٧٢٣م) كان في اول أمره معلم كتاب فيها[١].

ووجد الكُتّاب في المدينة، ويمكن معرفة ذلك من مضمون رواية تفيد أن الصبية في أحد كتاب المدينة رأوا سعيد بن المسيب حين طيف به في المدينة لأبي تبان شَعَر بعد أن جلد مئة سوط لرفضه اعطاء البيعة بولاية العهد للوليد بن عبد الله (٨٦-٩٦هـ/٧٤٥-٧٥٥م) في حال حياة والده، هذا مع العلم أن سعيد بن المسيب نفسه، كان اذا مرَّ بالمكتب في المدينة، قال للصبيان: هؤلاء الناس بعدنا[٢].

وتفيد رواية اخرى بأن يزيد بن عبد الملك (١٠١-١٠٥هـ/٧١٩-٧٢٣م) قد غضب على أحد الأشخاص، "فأمر به أن يختلف به إلى الكتاب مع الصبيان في المدينة، (أي معلماً للصبيان في الكتاب)" هناك[٣].

ووجد الكتاب في الطائف، فقد كان الحجاج بن يوسف الثقفي في أول أمره مُكتباً (أي معلماً للصبيان في الكُتاب) هناك[٤].

---

(١) ابن سعد، محمد بن منيع (ت ٢٢٤هـ/٨٣٨م)؛ الطبقات الكبرى، بيروت، دار صادر (د.ت)، ج٥/٤٦٨؛ ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم (ت ٢٧٦هـ/٨٨٩م): المعارف، تحقيق: ثروت عكاشة، القاهرة، دار المعارف، ١٩٨١، ص٤٤٤؛ العمد، احسان صدقي، الحجاج بن يوسف الثقفي، دار الثقافة، بيروت، ١٩٨١هـ، ص٩٦.

(٢) ابن سعد، الطبقات، ج٥/١٤١، ابن خياط، خليفة، (ت ٢٤٠هـ/٨٥٤م) التاريخ، تحقيق: أكرم العمري، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٧٧هـ، ص٢٨٩-٢٩٠.

(٣) ابن حزم، علي بن احمد الأندلسي، (ت ٤٥٦هـ/١٠٦٣م)، جمهرة أنساب العرب، تحقيق: عبد السلام هارون، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٧، ص٧٦؛ خماش، نجدة، الإدارة في العصر الأموي، دار الفكر، دمشق، ١٩٨٠هـ، ص١٦٣.

(٤) الجاحظ، عمرو بن بحر، (ت٢٥٥هـ/٨٦٨م) البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٧٥هـ، ج١/٢٥٢.

أما في دمشق، فقد اشتهرت ام الدرداء الصغرى[١]، (خيرة بنت أبي حدرد الأسلمي) (ت٨١هـ/٧٠١م) (عالمة الشام، وزوجة أبي الدرداء عويمر بن زيد الخزرجي الأنصاري، فقيه أهل الشام) بأنها كانت تعلم صغار الصبية القراءة والكتابة في الكتاب الخاص بها هناك، وأورد الذهبي[٢]، رواية تحمل أهمية كبيرة. ذلك أن عطية بن قيس الكلبي، قارئ دمشق المشهور (ت١١٠هـ/٧٢٩م).

"قد أخذ القراءة عن أم الدرداء عن قراءتها عن أبي الدرداء"، وكان عبد الحميد بن يحيى المعافوي، بالولاء، الملقب بالكاتب، من أهل قيسيارية في الشام، (ت١٣٢هـ/٧٥٠م) كان معلم صبية ينتقل في البلدان [٣].

وكان قبيصة بن ذؤيب الخزاعي (ت٧٠هـ/٦٩٠م) معلم كتاب في المدينة، وكان في دمشق عقب ارتحاله اليه[٤].

فيروى أن الضحاك بن مزاحم الهلالي (ت١٠٥هـ/٧٢٣م) "كان فقيه مَكتب عظيم في الكوفة فيه أعداد كبيرة من الصبية، وكان يركب حماراً ويدور عليهم اذا عيي"[٥].

---

(١) ينظر: ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله (ت ٤٦٣هـ/١٠٧٠م) الاستيعاب في معرفة الاصحاب، تحقيق: محمد البخاري، مكتبة نهضة مصر، (د- ت) القاهرة، ج٤/١٩٣٤؛ ابن الأثير، علي بن محمد، أسد الغابة في معرفة الصحابة، كتاب الشعب، القاهرة، ١٩٧٠، ج٧/١٠٠.

(٢) الذهبي، محمد بن أحمد، (ت ٧٤٨هـ/١٣٤٨م) سير اعلام النبلاء، تحقيق: مجموعة من الباحثين، مؤسسة الرسالة، ١٩٩٣هـ، ج٥/٣٢٤؛ الزرو، خليل دواد؛ الحياة العلمية في بلاد الشام، دار اللآفاق الجديدة، بيروت، ١٩٧١هـ' ص٢٥٤.

(٣) ابن النديم، محمد بن اسحق (ت٣٨٥هـ/٩٩٥م)، كتاب الفهرست، تحقيق: رضا تجدد الماز نذراني، دار المسيرة، بيروت، ١٩٨٨هـ، ص١٣١.

(٤) ابن كثير، اسماعيل بن عمر، (ت٧٧٤هـ/١٢٧٣م)، البداية والنهاية؛ ط٣، مكتبة المعارف، بيروت، ١٤٠١هـ، ٨/٣١٣.

(٥) ياقوت الحموي، (ت٦٢٦هـ/١٢٢٩م) معجم الادباء، تحقيق مرجو ليوث، لندن، ١٩٠٧-١٩٢٧، ج١٢/١٦؛ الذهبي، سير اعلام، ج٤/٥٩٩٠.

وعلى الرغم مما يبدو أن في هذه الرواية مبالغة، إلا إنه، دون شك كان بجانبه من يساعده في عمله هذا، وكان القاسم بن مخيمرة الهمداني (ت١٠١هـ/٧١٩م) معلماً في الكُتاب بالكوفة قبل أن يرتحل الى الشام[١].

وأما في الرَّي، فقد كان فيها الكُتاب، وكان الطرماح بن حكيم الطائي معلماً فيه، يروي الجاحظ عن عبد الأعلى بن عبد الله بن عامر، أنه قال: "رأيت الطرماح مؤدباً بالزي، فلم أرَ احداً أخذ لعقول الرجال، ولا أجذب لسماعهم الى حديثه منه، ولقد رأيت الصبيان يخرجون من عنده وكأنهم قد جالسوا العلماء"[٢].

فيروى عن غياث بن أبي شيبة، أنه قال: "كان سفيان بن وهب الخولاني (ت٨٢هـ/٧٠١م) صاحب النبي (ﷺ) يمُر بنا ونحن غلمة بالقيروان فيسلم علينا، ونحن في الكتاب، وعليه عمامة قد أرخاها من خلفه"[٣].

فيروى أن عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي الهمداني (ت١٥٧هـ/٧٧٣) كان مكتبه في اليمامة، فسمع من يحيى بن أبي كثير وغيره من مشايخ أهل اليمامة ثم انتقل بعد ذلك الى بلاد الشام[٤].

٣- طريقة التعليم في الكُتّاب:

كانت العملية التعليمية في الكتاب تتم عن طريق التلقين، أي إن يقول المعلم شيئاً ويردد الطلاب وراءه ما يقوله بصوت عال، ثم تطور الأمر الى الكتابة على ألواح صغيرة يحضرها الطلاب معهم، ويقدم ابن عساكر رواية تؤكد استخدام الصبية للألواح في الكتابة وكذلك تفيد في معرفة طريقة التدريس من حيث استخدام الحكم والأمثال، "قال: عبد ربه بن

---

(١) الذهبي، سير اعلام، ج٥/٢٠٢.

(٢) الجاحظ، البيان والتبيين، ج٢/٣٢٣؛ سزكين، فؤاد، تاريخ التراث العربي، ترجمة محمود فهمي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ١٤٠٣م، م٢، ج٣، ص٥٨.

(٣) ابن عبد البر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ج٢/٦٣١.

(٤) ابن سعد، الطبقات، ج٧، ٤٨٨، البسوي، يعقوب بن سفيان (ت٢٧٧هـ/٨٩١م) كتاب المعرفة والتاريخ، تحقيق أكرم صفياء العمري، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨١، ج٢/٤٠٩.

سليمان: "كتبت لي أم الدرداء في لوحي فيما تعلمني: تعلموا الحكمة صغاراً، وتعلموا بها كباراً وان لكل حاصد ما زرع من خير أو شر"(١).

ومما يزيد في تأكيد على أهمية الكتابة واستخدامها كوسيلة من وسائل التعلم، تلك الرواية التي تفيد ان الوليد بن عبد الله (٨٦-٩٦هـ/٧٤٥-٧٥٥م) تفقد أحد الكتّاب فوجد المعلم يعلم الصبيان الكتابة والقرآن(٢)، ولعل هذه الرواية تفيد أيضاً في معرفة مدى اهتمام الخلفاء الأمويين بأمور التعليم في عصرهم لشؤونهم.

٤- المسجد:

اتخذ المسجد مكاناً للتعليم منذ عهد الرسول (ﷺ) ومن عصر الدولة الأموية، خاص بمرحلة ما فوق الكتاب، أي بالطلبة المدركين لأهمية المسجد(٣)، (من عمر عشر سنوات فما فوق) وهو أمر متعارف عليه في جميع البيئات التعليمية الإسلامية سواءً في المشرق أم في المغرب(٤).

١- طريقة التعليم في المسجد، ومواضيعها:

كان الطلاب يتحلقون في فناء المسجد، ويستمعون الى مدرسهم (أو شيخهم) إما شفوياً أو من كتاب يقرأ منه.

---

(١) ابن عساكر، علي بن الحسن (ت٥٧١هـ/١١٧٥م) تاريخ مدينة دمشق، دراسة وتحقيق: عمر بن غرامة العموري، دار الفكر، بيروت، ١٤١٥هـ، ج١٥٨/٧؛ انظر: ابيض، فلكة، التربية الثقافة العربية الإسلامية في الشام والجزيرة، خلال القرون الثلاثة الأولى للهجرة، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٠، ص٢٦٠.

(٢) الجاحظ، البيان والتبيين، ج٢٠٣/٢، أبن عبد ربه، احمد بن محمد (ت٣٢٨هـ/٩٤٠م) العقد الفريد، تحقيق: محمد العريان، دار الفكر (د.ت)، بيروت، ج١٦١/٥.

(٣) وجاء ذلك عملاً يقول الرسول (ﷺ): "حروا صبيانكم بالصلاة اذا بلغوا سبعاً واضربوهم عليها اذا بلغوا عشراً" ابن حنبل، المسند، ج١٨٠/١.

(٤) جاء عن الشافعي أنه قال: كنت يتيماً في حجر أمي، فدفعتني الى الكتاب، ولم يكن عندها ما تعطي المعلم فكان المعلم قد رضي مني أن اخلفه اذا قام، فلما ختمت القرآن، دخلت المسجد فكنت أجالس العلماء ابن عبد البر، الإستيعاب، ج٩٨/١.

وكانت مواضيع التعليم في المساجد تتصب أساساً على القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف: ولذلك كان عطاء بن أبي رباح في مكة، وعبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي في بيروت لا يقبلان في دروسهما إلا من عرف القرآن وقرأه(١).

لقد اتبع قراء القرآن الكريم اسلوب "العَرض" في حلقاتهم؛ أي أن يقوم المتعلم بقراءة القرآن الكريم على المقرئ، وبعد أن يتقن القراءة، يبدأ في عرض ما يحفظه من القرآن على المقرئ، ويمكن أن يصل عدد المرات التي يعرض فيها المتعلم قراءته من ٣-٣٠ مرة في بعض الحالات(٢)، وأورد ابن خلكان رواية تفيد أن يزيد بن القعقاع القارئ (ت بالمدينة ١٣٢هـ/٧٥٠م) كان يمسك بالمصحف على مولاه عبد الله بن عياش المخزومي، وكان من اقرأ الناس، وكنت أرى كل يوم ما يقرأ، وأخذت عنه قراءته(٣).

أما حلقات التعلم المتعلقة بالحديث والفقه، فكان الأسلوب المتبع فيها هو "السماع"؛ أي: يسمع المتعلم الأحاديث النبوية من المتحدث فيحفظها، كما يبدو من سؤال أبي حصين لسعيد بن جبير: "أكل ما اسمعك تحدث سألت عنه ابن عباس؟ فقال: لا، كنت أجلس ولا أتكلم حتى أقوم فيتحدثون فأحفظ"(٤).

وكان المعلم لقلة وفرة الكتب مع طلابه وخشية أن يتسرب الملل الى نفوسهم، يكتفي بإلقاء حديث أو حديثين وشرحهما مثلما كان يحدث مع عبد الرحمن بن عُسيلة الصنابحي في مسجد دمشق(٥).

وكان أبو قلابة عبد الله بن زيد الجرمي البصري (ت١٠٤هـ/٧٢٤م) يفعل مثل ذلك، فقد روي عن أحد تلاميذه قوله: "كنا نأتي أبا قلابه في مسجد البصرة فإذا حدثنا ثلاثة

---

(١) ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج١٨٧/٣٥، أبيض، التوبة والثقافة، ص٢٥٩.

(٢) عامر أبو جيلة، تاريخ التربية، ص١١٥-١١٦.

(٣) ابن خلكان، أحمد بن محمد (ت٦٨١هـ/١٢٨١م) وفيات الأعيان، تحقيق: احسان عباس، داء صادر، بيروت، ١٩٦٨م، ج٢٧٥/٦.

(٤) ابن سعد، الطبقات، ٢٥٧/٦.

(٥) البسوي، كتاب المعرفة والتاريخ، ج٣٠٦/٢؛ ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي (ت٨٥٢هـ/١٤٤٨م) الإصابة به تهذيب التهذيب، طبعة حيدر أباد الدكن ١٣٢٥-١٣٢٧هـ، ج٢٣٠/٦.

أحاديث قال: قد أكثرت"[١]، وقال محمد بن شهاب الزهري (ت١٢٤هـ/٧٤١م) مبرراً ذلك، من واقع خبرته: "من طلب العلم جملة، فاته جملة، وإنما يدرك العلم حديثاً وحديثين"[٢].

وبمرور الوقت، ازدادت المساجد انتشاراً في الأمصار، وبدأ الفقهاء والعلماء ينتقلون من بلد الى آخر، ولذلك أصبحت الرحلة في طلب العلم، وسماع الشيوخ ضرورة ملحة، وقد أولى بعض خلفاء بني أمية هذا الجانب اهتماماً خاصاً، فيروى أن الوليد بن عبد الملك (٨٦-٩٦هـ/٧٠٥-٧١٤م) كان يعطي إعانات للقراء المتفرغين لطلب العلم في بيت المقدس[٣]، وأن عمر بن عبد العزيز (٩٩-١٠١هـ/٧٥٨-٧٦٠م) كتب الى والي حمص: "انظر الى القوم الذين نصبوا أنفسهم للفقه، وحبسوها في المسجد عن طلب الدنيا، فأعط كل رجل منهم مئة دينار، يستعينون بها على ما هم عليه من بيت مال المسلمين وأن خير الخير أعجله"[٤].

ونتيجة لما سبق ذكره أصبح لدى طالب العلم حرية الاختيار والتعلم على أكثر من واحد، فقد ورد عن سعيد بن عبد العزيز التنوخي (ت١٦٧هـ/٧٨٣م) قوله: "كنا نجلس بالغدوات مع يزيد بن عبد الرحمن وسليمان بن موسى (الأشدق) (ت١١٩هـ/٧٣٧م) وبعد الظهر مع اسماعيل بن عبد الله بن أبي المهاجر، وربيعه بن يزيد، وبعد العصر مع مكحول الدمشقي[٥].

وأما عن أشهر حلقات العلم التي كانت تعقد يومياً في المساجد من بعد صلاة الفجر الى شروق الشمس (الغداة)، ومن بعد صلاة العصر حتى غروب الشمس (العشي)

---

(١) ابن سعد، الطبقات، ج١٥٧/٧.

(٢) القرطبي، محمد بن أحمد (ت٦٩٣هـ/١٢٩٤م): الجامع لأحكام القرآن، بيروت، ١٩٦٧، ج١٠٤/١.

(٣) ينظر: ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج١٧٦/٦٣.

(٤) ابن الجوزي، ابو الفرج عبد الرحمن (ت٥٩٧هـ/١٢٠٠م) سيرة ومناقب عمر بن عبد العزيز، تحقيق سمير زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨١، ص١١٥؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج٢٠٧/٩.

(٥) ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج١٩٨/٢١؛ ملكه أبيض، التربية والثقافة، ص٣٠٦.

فمنها: أن عبد الله بن عباس (ت٦٨هـ/٦٨٧م) كان مجلسه في المسجد الحرام بمكة، وكان يخصص لكل فرع من فروع العلم يوماً دراسياً كاملاً، فقد كان يجلس يوماً لا يذكر فيه إلا الفقه، ويوماً للتأويل، ويوماً للمغازي، ويوماً للشعر، ويوماً لأيام العرب(١).

وأما في المدينة، فقد شهدت أروقة المسجد النبوي حلقات فقهية لمشاهير العلماء فيها، من أمثال: جابر بن عبد الله المخزومي الأنصاري (ت٧٨هـ/٦٩٧م)، وسعيد بن المسيب المخزومي (ت٩٤هـ/٧١٢م) وربيعة (الرأي) بن فروخ التيمي (ت١٣٦هـ/٧٥٣م) (الذي كان مالك بن أنس يحضر حلقته)(٢).

وكان ليزيد بن اسلم العدوي (ت١٣٦هـ/٧٥٣م) حلقة للعلم في مسجد رسول الله بالمدينة، وكان يجالسه فيها أربعون فقهياً يأخذون عنه(٣).

وفي البصرة، كان الحسن البصري يتناول في مجلسه بمسجد البصرة شيئاً من الحديث والفقه وعلم القرآن واللغة وسائر العلوم(٤).

وكان عامر بن عبد الله العنبري (ت٥٥هـ/٦٧٤م) يعلم قراءة القرآن في مسجد البصرة من بعد صلاة الفجر حتى تطلع الشمس، ومن بعد صلاة العصر حتى يقوم صلاة المغرب(٥).

وكان عبد الله بن حبيب السلمي (ت فيما بين ٧٢-٧٥هـ/٦٩١-٦٩٤م) يقرئ عشرين آية بالغداة، وعشرين آية بالعشي، ويخبرهم بموضع العُشر والخُمس، ويقرئ خمساً خمساً، يعني خمس آيات خمس آيات(٦).

---

(١) ابن سعد، الطبقات، ج٣٦٨/٢؛ ابن عبد البر، الاستيعاب، ج٩٣٩/٣.

(٢) ينظر: ابن سعد، الطبقات، ج١٣٠/٥؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٢٨٩/٢.

(٣) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٣١٦/٥.

(٤) ابن سعد، الطبقات، ج١٥٦/٧، ١٧٨؛ الذهبي، سير اعلام، ج٥٧٩/٤.

(٥) الجزري، أبو الخير محمد بن محمد (ت٨٣٣هـ/١٤٢٩م) غاية النهاية في طبقات القراء، نشره برجستر أسد، طبعة مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٣٢.

(٦) ابن سعد، الطبقات، ج١٧٢/٦؛ الذهبي، سير اعلام، ج٢٦٩/٤.

وأما في دمشق، فقد كان أبو ادريس الخولاني الأزدي (ت٨٠هـ/٦٩٩م) قاضي دمشق وقاصها، "يتخذ مكانه كل يوم بعد صلاة المغرب أو تقام الصلاة، حفظاً لما سمع"(١).

وعلى أية حال، فقد أصبح الجلوس لتعليم القرآن، ولتدريس الحديث والفقه سمة مميزة في ذلك العصر وما بعده، فيشير ابن خلكان الى أن مالك بن أنس الأصبحي (ت١٧٩هـ/٧٩٥م) كان يكره أن يُحدث على الطريق، أو قائماً، أو مستعجلاً، ويقول: "أحب أن أتفهم ما أحدث به عن رسول الله (ﷺ)"(٢).

٢- مدة التعليم في المسجد:

كانت طبيعة المواد التي تدرس في المسجد (علوم القرآن والحديث والفقه) تستوجب من الطالب قضاء وقت طويل يلازم فيها استاذه؛ ويأخذ العلم عنه، فيروى أن محمد بن شهاب الزهري قد جالس سعيد بن المسيب ثماني سنين يتعلم منه الفقه في المدينة(٣)، وعندما انتقل الزهري الى مدينة الرصافة، ووفد عليه طلاب العلم، يقال إن محمد بن الوليد الزبيدي (من أهل حمص، توفي سنة ١٤٨هـ/٧٦٥م قد أمضى ما يقرب عشر سنوات في الرصافة يدرس الحديث على الزهري(٤)، وصحب موسى بن يسار الأردني مكحول الدمشقي مدة أربعة عشر عاماً يدرس الحديث عليه(٥)، وصحب عبد الملك بن عبد العزيز بن جريح (١٥٠هـ/٧٦٧م) عطاء بن أبي رباح في مكة ثماني عشرة (وقيل عشرين) سنة يأخذ العلم عنه، ثم انتقل ابن جريح الى المدينة؛ فأمضى فيها تسع سنين جالس فيها عمر بن دينار المكي؛ واستزاد من علمه(٦).

---

(١) ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج١٦٣/٢٦؛ حسين عطوان، الرواية التاريخية لبلاد الشام من العصر الأموي، دار الجيل، عمان، ١٩٨٦، ص٩٦.

(٢) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج١٣٦/٤.

(٣) الذهبي، سير اعلام، ج٣٣٢/٥.

(٤) ابن سعد، الطبقات، ج٤٦٥/٧؛ ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج٥٠٢/٩.

(٥) ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج٣٧٢/١٠-٣٧٣.

(٦) المصدر نفسه، ج٤٠٤/٦؛ الذهبي، سير أعلام، ج٣٢٧/٦.

وقد أدت هذه الملازمة الطويلة الى أن يتأثر الطالب بشيخه وأن يهتم أحدهما بالآخر ويحترمه، فقد روي عن سعيد بن عبد العزيز التنوخي أنه قال: "كنا عند مكحول الدمشقي كبعض ولده[١]، ووصل الحال ببعضهم الى أن أوصى بكتبه أو بمجلسه إلى أحد تلاميذه من بعده؛ فقد أوصى عطاء بن أبي رباح – حين حضرته الوفاة– بأن يخلفه في مكانه للتدريس في المسجد الحرام بمكة أنجب تلامذته؛ وأكثرهم ملازمة له وحفظاً لعلمه وآرائه، وهو عمرو بن دينار المكي، وفعل مكحول الدمشقي الشيء ذاته، إذ أوصى بأن يخلفه في التدريس بالجامع الأموي بدمشق تلميذه ثابت بن ثوبان[٢].

وأما أبو قلابة الجرمي فقد أوصى بكتبه الى تلميذه أيوب السختياني (من البصرة) (ت١٣١هـ/٧٤٨م) وقال: "ادفعوا كتبي الى أيوب إن كان حياً، وإلا فأحرقوها؛" فجاءت الكتب اليه عدل راحله[٣]، واستفاد منها في تدريسه.

٣- التعليم الخاص بأبناء الخلفاء والأمراء والولاة:

اهتم بنو أمية اهتماماً كبيراً بتعليم أبناءهم وتأديبهم، وكانوا يحرصون على أن يشاركهم في هذه المهمة مشاهير الفقهاء والعلماء والأدباء المسلمين[٤]، وذلك من أجل أن

---

(١) ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج١٩٨/٢١، ملكه ابيض، التربية والثقافة، ص٣٢٩، ولعل مثل هذا يذكرنا بما روي عن سعيد بن جبير تلميذ عبد الله بن عباس أنه قال: "ان كان ابن عباس ليحدثني الحديث فلو يأذن لي أن أقبل رأسه لفعلت" (ابن سعد، الطبقات، ج٣٧٠/٢).

(٢) ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج٣٢٩/٨.

(٣) ابن سعد، الطبقات، ج١٨٥/٧؛ أبن قتيبة، المعارف، ص٧٤٧.

(٤) يروى أن الحجاج بن يوسف أراد مؤدباً لابنه فقيل له: "ها هنا رجل نصراني عالم، وها هنا مسلم ليس علمه كعلم النصراني، قال: ادعو لي المسلم، فلما آتاه، قال له: ألا تدري يا هذا أنا قد دللنا على نصراني قد ذكروا أنه أعلم منك، غير أني كرهت أن أضم الى ولدي من لا ينبههم للصلاة عند وقتها ولا يدلهم على شرائع الإسلام، ومعالمه، وأنت ان كان لك عقل قادر على تعلم في اليوم ما يعلمه أولادي في جمعة، وفي الجمعة ما يعلمونه في الشهر، وفي الشهر ما يعلمونه في سنة" (انظر: ابو الفرج الأصفهاني، علي

يعدوا هؤلاء الأبناء أعداداً جيداً يتناسب مع ما ينتظرهم من مهام مستقبلية، وكان يطلق على من يقوم بهذه المهمة لقب: المؤدب، وكان المؤدب يقيم في ركن خاص به من قصر الخليفة أو الأمير أو الوالي؛ ويجرى عليه من الأرزاق والأعطيات ما يكفل له حياة طيبة(١).

فقد اختار معاوية بن أبي سفيان لتأديب ابنه يزيد كل من عبيد بن شريه الجرهمي (ت٦٧هـ/٦٨٦م) صاحب كتاب الأمثال؛ وكتاب الملوك؛ واخبار الماضيين(٢)، ودغفل بن حنظلة السدوسي الشيباني (ت٦٥هـ/٦٨٤م)، وكان عالماً بالأنساب؛ وله كتاب التشجير في النسب؛ وعارفاً بآداب اللغة العربية، وعلم النجوم، ويبدو أن معاوية بن أبي سفيان (٤١-٦٠هـ/٧٠٢-٦٧٩م) رأي في علم دغفل ما يكفي لتعليم ابنه يزيد هذه المواد. إذ قال له: "انطلق الى يزيد فعلمه أنساب الناس وعلمه النجوم وعلمه العربية"(٣)، وقد ظهرت آثار ثقافة هذين الرجلين على يزيد حتى عُد من خطباء العرب(٤)، وعلماء الناس(٥).

بن الحسين (ت٣٥٦هـ/٩٦٩م) كتاب الأغاني، دار احياء التراث العربي، بيروت، ١٣٩٢هـ، ج١٨، طبعة بولاق، ١٢٨٥هـ، ص٧٨).

(١) أعطى هشام بن عبد الملك سليمان بن سليم الكلبي مؤدب ولده ألف درهم في كل شهر سوى كسوته وجائزته (السجستاني، أبو حاتم سهل بن محمد (ت٢٥٥هـ/٨٦٨م)، المعمرون والوصايا، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٩٦١، ص١٣٧-١٣٩؛ محمد عيسى صالحية، مؤدبو الخلفاء في العصر الأموي، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، مجلد (١)، عدد (٣)، الكويت، ١٩٨١، ص٥٥).

(٢) ابن النديم، الفهرست، ص١٠٢.

(٣) ابن عبد البر، الاستيعاب، ج٤٦٢/٢؛ ابن الأثير، علي بن محمد (ت٦٣٠هـ/١٢٣٢م) أسد الغابة في معرفة الصحابة، تحقيق: محمد البنا وآخرون، كتاب الشعب، القاهرة، ١٩٧٠، ج١٦٠/٢.

(٤) البلاذري، احمد بن يحيى (ت٢٧٩هـ/٨٩٢م)، أنساب الأشراف، تحقيق: احسان عباس، بيروت، ١٩٨٠، ج٤، قسم (١)، ص٢٨٩.

(٥) ابن كثير، البداية والنهاية، ج٢٢٨/٨-٢٢٩.

وأما عبد الملك بن مروان (٦٥-٨٦هـ/٦٨٤-٧٤٥م) فقد نال حظاً وافراً من الثقافة الدينية في المدينة – إذ كان والده يتناوب الإمارة عليها مع سعيد بن العاص– ولُقِبَ لطول جلوسه في المسجد النبوي بحمامة المسجد: لاجتهاده في العبادة[١].

وقد عُدّ نتيجة لتبحره في امور الفقه، ضمن أشهر أربعة فقهاء في المدينة[٢]، وفيه قال عامر بن شراحبيل الشعبي (ت فيما بين ١٠٣ ،١٠٧هـ/٧٢١ ،٧٢٥م) "ما جالست أحداً الا وجدت فيه الفضل عليه، إلا عبد الملك بن مروان فإني ما ذاكرته حديثاً ولا شعراً إلى وجدت فيه الفضل عليه، الا عبد الا عبد الله فأني ما ذاكرته حديثاً ولا شعراً إلا زادني فيه"[٣].

ونظراً لثقة عبد الملك في الشعبي، الذي كان عالماً بقراءة القرآن، والسيرة النبوية والتفسير والحساب فقد اختاره بين من اختارهم لتأديب ابنائه: الوليد وسليمان وهشام ويزيد وغيرهم، وشارك الشعبي في هذه المسؤولية كل من محمد بن شهاب الزهري[٤]، وكان عالماً بالسيرة النبوية والحديث، واسماعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر[٥]، (مولى بن مخزوم) (ت١٣٢هـ/٧٤٩م) وكان عالماً باللغة العربية والقرآن والنحو.

واختار عمر بن عبد العزيز (٩٩-١٠١هـ/٧٥٨-٧٦٠م) كلاً من صالح بن كيسان المدني (ت بعد ١٤٠هـ/٣٥٨م) [٦]، وسهل[٧]، (مولى عمر) وكانا ضليعين في الحديث والفقه، وذلك لتأديب ابنائه.

---

(١) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج٥٧/٨.

(٢) والفقهاء الثلاثة الآخرون، هم: سعيد بن المسيب، قبيصة بن ذؤيب الخزاعي، وعروة بن الزبير؛ انظر: البسوي، المعرفة والتاريخ، ج٥٦٣/١.

(٣) ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج٤٢٢/٥-٤٢٣؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج٦٣/٩.

(٤) ابن قتيبة، المعارف، ص٤٧٢؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج٣٤٠/٩.

(٥) ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج٣١٦/١.

(٦) ابن الأثير، علي بن محمد (٦٣٠هـ/١٢٣٢م) الكامل في التاريخ، طبعة دار صادر المصورة، بيروت، ١٩٦٥، ج٦٢/٥، وكان صالح بن كيسان مؤدباً لعمر بن عبد العزيز في المدينة (ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج٣٣٩/١).

(٧) ابن الجوزي، سيرة عمر بن عبد العزيز، ص٢٩٦.

وأما هشام بن عبد الملك بن مروان (١٠٥-١٢٥هـ/٧٦٤-٧٨٣م) فقد اختار محمد بن شهاب الزهري ليؤدب أبناءه فأقام عنده بالرصافة، وأخذ طلاب العلم يتوافدون عليه هناك، وكان سليمان بن سليم الكلبي، يشارك أيضاً في تأديب ابناء هشام بن عبد الملك(١).

وقد نشأ نوع من أنواع التعليم الابتدائي في قصور الخلفاء والأمراء في العصر الأموي خاص بأبنائهم إذ "كان الخلفاء والأمراء الأغنياء يتخذون لأولادهم معلمين خاصين يذهبون إلى القصور ويجلس الأولاد إليهم يتلقّون منهم قدراً من الثقافة والمعرفة"(٢)، وبناءً على ذلك ظهرت طبقة جديدة تسمى بطبقة المؤدبين.

إن هذا النوع من التعليم ذو صلة بالكتاتيب الخاصة بتعليم القرآن الكريم ومبادئ الدين الإسلامي، إذ إن لكل منها هدفه الرئيسي مبني على التعليم وتحفيظ القرآن؛ الذي يمثل محور المنهاج الدراسي الذي تلتف حوله بقية المواد الأخرى إلا إن التعليم في القصور يختلف بناءً على رأي الوالد "فالوالد يشترك في تخطيط وتحديد ما يتعلمه ابنه من معلمه الخاص"(٣).

ويتضح ذلك لنا من خلال وصايا الخلفاء والأمراء الأمويين الى مؤدبي أولادهم، فقد أوصى عمر بن عبد العزيز مؤدب ولده بقوله:

"إني اخترتك على علم مني بك لتأديب ولدي، فصرفتهم إليك عن غيرك من مواليّ، وذوي الخاصة بي، فحدثهم بالجفاء فهو أمعن لأقدامهم، وترك الصحبة فإن عادتها تكسب الغفلة، وقلة الضحك فإن كثرته تميت القلب، ولكن أول ما يعتقدونه من أدبك بغض الملاهي التي بدؤها من الشيطان وعاقبتها سخط الرحمن... الى قوله: وليفتتح كل كلام منهم بجزء من القرآن يتثبت في قراءته، فإذا فرغ، تناول قوسه ونبله وخرج الى الغرض حافياً"(٤).

وقد ركز اهتمام عمر بن عبد العزيز على تربية أبنائه على الزهد والورع وبغض الملاهي وتوافه الأمور والجد والعمل والتربية الدينية والأخلاقية بصحبة الأخيار الذين يعينوه

---

(١) ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج١٩٥/٤، وانظر: سزكين، تاريخ التراث، مجلد٢، ج٣٢/٢.

(٢) أحمد، سعد مرسي، سعيد اسماعيل علي، تاريخ التربية والتعليم، عالم الكتب، القاهرة، ط١٢، ٢٠٠٤م، ص٢١٧.

(٣) أحمد، تاريخ التربية والتعليم، ص٢١٨.

(٤) ابن الجوزي، سيرة عمر بن عبد العزيز الزاهد، ص٢٩٦.

على التقوى والصلاح والعلم والعمل، أما هشام بن عبد الملك (١٠٥-١٢٥هـ/٧٢٣-٧٤٢م) فقد أوصى مؤدب ابنائه بعدة أمور هي:

١- "أن يجنبه مجالسة أصحاب السوء ويدخل عليه أهل القرآن، وذوي الأسنان، فإنك منهم بين خصيلتين، إما أن يسمع منهم كلاماً فيعيه ويحفظه فيكون لك صوته وذكره، وأما أن يراهم الناس يخرجون من عنده فيرون أنكم على مثل ما هم عليه... لا تدخل عليه الفساق وشربة الخمر"(١).

٢- أن يعلمه نسب العرب والفلك والبلاغة ومواضع الكلام ومعرفة الجواب، ومن ذلك قوله: "وخذه بعلم نسبه في العرب حتى لا يخفى عليه منه قليل ولا كثير، وعلمه منازل القمر، وأنواع الخطب، ومواضع الكلام ومعرفة الجواب"(٢).

وكان يطلق على معلم أبناء الخلفاء والأمراء اسم (مؤدب) وكان المؤدبون يحتلون مكانة عظيمة عن غيرهم من المعلمين "فهناك دلائل كثيرة تشهد بمكانتهم وتفيد أن تأديب أولاد الخاصة صبياناً أو كباراً كان عملاً عظيماً، يكسب من يقوم به الجلال ويحوطه بإيهاب من العظمة"(٣)، فقد كانوا فضلاً عن التقدير والاحترام من قبل الخلفاء والأمراء ينالون أجوراً تصل الى الف دينار شهرياً، فضلاً عن تسديد الديون وتقديم الهدايا(٤).

وبما أن الشام كانت عاصمة الخلافة الأموية فقد شهدت قصورها الكثيرة من المؤدبين الذين لمعوا في التاريخ أمثال:

أ- الزهوي "مؤدب هشام بن عبد الملك"(٥).

ب- إسماعيل بن أبي مهاجر "مؤدب أبناء عبد الملك بن مروان"(٦).

---

(١) السجستاني، أبي الحاتم، المعمرون والوصايا، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي وشركائه، ١٩٦١م، ص١٣٧.

(٢) المصدر نفسه، ص١٣٨.

(٣) عبد الدائم، عبد الله، التربية عبر التاريخ في العصور القديمة حتى أوائل القرن العشرين، دار العلم للملايين، بيروت، ط١، ١٩٧٣م، ص١٦٧.

(٤) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٢/٢٤٢.

(٥) أبن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٥٥/٣٢٥.

(٦) المصدر نفسه، ج٨/٤٣٩.

ج- سليمان بن سلم بن كيان الكلبي "مؤدب محمد بن هشام بن عبد الملك"[١].

٤- مناهج تعليم أبناء الخلفاء والأمراء والولاة:

بلغ من شدة حرص بعض خلفاء بني أمية على تعليم أبنائهم أنهم كانوا يشاركون بأنفسهم في وضع مخطط إرشادي يسير المؤدبون بموجبه في أثناء تثقيفهم لهؤلاء الأبناء؛ وقد أوردت المصادر التاريخية نماذج وصايا بعض الخلفاء لمؤدبي ابنائهم، منها:-

أوصى عبد الملك بن مروان الشعبي مؤدب أبنائه "علم أولادي الصدق كما تعلمهم القرآن، وعلمهم الشعر يمجدوا وينجدوا، وجنبهم السفلة، فإنهم أسوأ الناس رعة، وأقلهم أدباً، وجنبهم الحشم فإنهم لهم مفسدة، وجالس بهم علية القوم يناطقوهم الكلام، واحدِف شعورهم تغلظ رقابهم، واطعمهم اللحم يقووا، ومُرهم أن يستاكوا عرضاً، ويمصوا الماء مصاً ولا يعبّوا عبّاً، واذا احتجت أن تتناولهم بأدب؛ فليكن ذلك في سرّ لا يعلم به أحد من الحاشية فيهونوا عليهم"[٢].

وأوصى هشام بن عبد الملك (١٠٥-١٢٥هـ/٧٦٤-٧٨٣م) سليمان بن سليم الكلبي مؤدب ولده، بقوله: "إن ابني هذا هو جلدة ما بين عينيّ، وقد وليتك تأديبه، فعليك بتقوى الله، وأداء الأمانة فيه بخلال، أولها: أنك مؤتمن عليه، والثانية: أنا امام ترجوني وتخافوني، والثالثة: كلما ارتقى الغلام في الأمور درجة ارتقيت معه، وفي هذه الخلال ما يرغبك فيما أوصيك به، أن أول ما أوصيك به أن تأخذه بكتاب الله وتقرئه في كل يوم عشراً يحفظه حفظ رجل يريد التكسب به، ثم رووه من الشعر أحسنه، ثم تخلل به في أحياء العرب، فخذ من صالح شعرهم هجاءً ومديحاً، وبصره طرفاً من الحلال والحرام والخطب والمغازي، ثم اجلسه كل يوم للناس ليتذكر"[٣].

---

(١) أبن عساكر، تاريخ دمشق، ج٢٢/٣٣٠.

(٢) ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم (ت٢٧٦هـ/٨٨٩م) عيون الأخبار، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، ١٩٧٣، ج٢/١٦٧؛ وانظر: سزكين: تاريخ التراث، مجلد٢، ج٣، ص٣٢.

(٣) الأصبهاني، ابو القاسم حسين بن محمد (ت٥٠٢هـ/١١٠٨م): محاضرات الأدباء، دار مكتبة الحياة، بيروت، (د.ت)، ج١/٥٣.

وكتب عمر بن عبد العزيز الى سهل مولاه، مؤدب ولده "أما بعد، فإني اخترتك على علم مني بك لتأديب ولي، فصرفتهم إليك عند غيرك من موالي، وذو الخاصة بي، فحدثتهم بالجفاء فهو أمعن لأقدامهم، وترك الصُحبة فإن عادتها تكسب الغفلة، وقلة الضحك فإن كثرته يميت القلب، وليكن أول ما يعتقدون من أدبك بغض الملاهي التي بدؤها من الشيطان وعاقبتها سخط الرحمن، فإنه بلغني عن الثقاة من أهل العلم أن حضور المعازف واستماع الأغاني واللهج بها ينبت النفاق في القلب كما ينبت العشب الماء، ولعمري لَتَوقي ذلك بترك حضور تلك المواطن، أيسر على الذهن من الثبوت على النفاق في قلبه، وهو حين يفارقها لا يعتقد مما سمعت أذناه على شيء مما ينتفع به، وليفتتح كل غلام منهم بجزء من القرآن يتثبت في قراءته، فإذا فرغ، تناول قوسه ونبله وخرج الى الغرض حافياً، فرمى سبعة أرشاق ثم انصرف الى القائلة، فإن ابن مسعود كان يقول: يا بني! قيلوا فإن الشياطين لا تقيل[١].

وقد حذا بعض ولاة بني أمية حذو خلفائهم في توجيه مؤدبي أولادهم، فيروى أن عتبة بن سفيان (والي مصر لمعاوية) قد أوصى مؤدب ولده قائلاً: "ليكن أول اصلاحك لولدي اصلاحك لنفسك، فأن عيونهم معقودة بعينيك، فالحسن عندهم ما صنعت، والقبيح ما تركت، علمهم كتاب الله، ولا تكرههم عليه فيملوه، ولا تتركهم منه فيهجروه، وروهم من الحديث أشرفه، ومن الشعر أعفه، ولا تنقلهم من علم الى علم حتى يحكموه، فإن ازدحام الكلام في القلب مشغله للفهم، وعلمهم سنن الحكماء، وجنبهم محادثة النساء، ولا تتكل على عُذر مني لك، فقد اتكلت على كفاية منك"[٢].

وأما الحجاج بن يوسف الثقفي فقد قال لمؤدب أبنائه: "علم ولدي السباحة قبل الكتابة، فأنهم يصيبون من يكتب عنهم، ولا يصيبون من يسبح عنهم"[٣].

---

(١) ابن الجوزي، سيرة عمر بن عبد العزيز، ص٢٩٦.

(٢) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج/٢٤٣؛ الأصبهاني، معجم الأدباء، ج٥٣/١.

(٣) ابن قتيبة، المعارف، ص٢٥٩؛ الجاحظ: البيان والتبيين، ج١٧٩/٢؛ البلاذري، احمد بن يحيى (٢٧٩هـ/٨٩٢م): فتوح البلدان، تحقيق رضوان محمد، دار مكتب الهلال، بيروت، ١٣٩٨هـ، ص٤٥٩.

يبدو من دراسة الوصايا السابق ذكرها أن بني أمية حرصوا على أن يتضمن برنامج ابنائهم الدراسي: القرآن الكريم، والسيرة النبوية، والحديث، والسنن، والأنساب، واخبار الأمم، وآداب اللغة العربية، ولا سيما الشعر، فيروى أن معاوية كتب الى أخيه زياد بن أبي سفيان بعد ما رأى في ابنه عبيد الله بن زياد قصوراً في تذوق الشعر: "ما منعك ان ترويه الشعر؟ فو الله إن كان العاق ليرويه فيبرّ، وإن كان البخيل ليرويه فيسخوا، وإن كان الجبان ليرويه فيقاتل"(١).

ويتضح أيضاً أن الوصايا كانت تتضمن توجيهات عامة للمؤدبين في أن يكونوا قدوة لطلابهم في كل شيء، وأن يعلموهم الآداب العامة، والنظافة، واذا احتاج الأمر لأن يضربوهم، فليكن ذلك، ولكن بلطف، بعيداً عن أعين خدمهم وحاشيتهم حتى لا يهونوا عليهم(٢).

كما تضمن البرنامج اهتماماً واضحاً بالجانب الأخلاقي والسلوكي، ويتضمن البرنامج كذلك نشاطات اخرى كالسباحة وفنون الحرب والرماية والفروسية تأسيساً بقول الخليفة عمر بن الخطاب (ﷺ): "علموا أولادكم السباحة والرماية وركوب الخيل"(٣)، ولهذا النوع من النشاط فوائد كثيرة.

(١) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج١٠٨/٦.

(٢) ويروى أن معاوية بن أبي سفيان سأل ابنه يزيد، قائلاً: "أيضر بك معلمك يا يزيد؟ قال: لا يا أمير المؤمنين، قال: ولما؟ قال: له أمتن بسنة احد المؤمنين في العدل" (ابن ظفر الصقلي، محمد (ت٥٦٥هـ/١١٦٩م)): كتاب أنباء نجباء الأبناء، تحقيق: لجنة احياء التراث العربي، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٩٨٠، ص١٠٥.

(٣) ينظر: الجاحظ، البيان والتبيين، ج١٨٠/٢، قال ابن التوأم: "من تمام ما يجب على الأدباء، من حفظ الأبناء، ان يعلموهم الكتاب والحساب والسباحة (ابن قتيبة، عيون الأخبار، ج٦٨/٢)".

٤- التعليم في البادية:

اهتم بنو أمية بنشر العلم خارج المراكز الحضرية، فيروى أن عمر بن عبد العزيز "بعث يزيد بن أبي مالك (عبد الرحمن) الدمشقي (ت١٣٠هـ/٧٤٨م) والحارث بن يمجد الأشعري يفقهان الناس في البادية (بدو بني تميم)؛ واجرى عليهما رزقاً، فأما يزيد فقبل، وأما الحارث فأبى أن يقبل، فكتب عمر بن عبد العزيز: "إنا لا نعلم بما صنع يزيد بأساً، وأكثر الله فينا مثل الحارث بن يمجد"(١).

٥- التعليم في أوساط الجند المرابطين في الثغور وأهالي البلاد المفتوحة:

شهد العصر الأموي بناء قوة بحرية وبرية اسلامية مهيبة؛ وامتدت فتوحاتهم من الصين شرقاً الى بلاد الأندلس غرباً ومن شواطئ البحر المتوسط شمالاً الى بلاد السودان جنوباً، وحرص خلفاء بني أمية على أن يصاحب الفقهاء جندهم والعلماء؛ ليشدوا أزرهم؛ ويبينوا لهم فضيلة الجهاد ومميزات الشهادة والشهيد، ويقوم هؤلاء العلماء والفقهاء كذلك بتعليم أهالي البلاد المفتوحة القرآن الكريم، والحديث، والسنن، واللغة العربية، ويبينون لهم الحلال والحرام، وما ينفعهم في دينهم ودنياهم، ومن الأمثلة الدالة على ذلك:

فقد بعث معاوية بن أبي سفيان مجاهد بن جبير المخزومي (مولاهم) (ت١٠٣هـ/٧٢١م) الى جزيرة رودس (سنة٥٢هـ/٦٧٢م) ليقرئ الناس القرآن(٢).

وعندما دخل عقبة بن نافع القهري أفريقية كان في جيشه خمسة وعشرون صحابياً، وخلف في بعض الأقاليم جماعة منهم يعلموا البربر القرآن ويفقهوهم في الدين، ومنهم شاكر الذي أقام رباطاً حمل اسمه(٣).

---

(١) ابن سلام، او عبيد القاسم، كتاب الأموال، تحقيق: محمد خليل هراس، دار الفكر، القاهرة، ١٤٠١هـ، ص٢٤٤؛ ابن الجوزي، سيرة ومناقب عمر بن عبد العزيز، ص٩٢.

(٢) البلاذري، فتوح البلدان، ص٢٣٧، وانظر: ابن قتيبة، المعارف، ص١٤٤؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج٩/٢٢٤.

(٣) ابن عذاري، محمد المراكشي (ت بعد٧١٢هـ/١٣٠٢م) البيان المغرب في اخبار الأندلس والمغرب، تحقيق: ج س كولان وليفي بروفنسال، دار الثقافة (مصوره عن طبعة باريس)، ١٩٤٨، ج٢/١.

وعندما هزم حسان بن النعمان الغساني الكاهنة، وبنى مدينة تونس (٨٤هـ/٧٠٣م) عهد الى ثلاثة عشر فقيهاً من التابعين بمهمة تعليم القرآن واللغة العربية الى بربر أفريقية[١].

ولما فتح موسى بن نصير مدينة طنجة، ترك حاميه ترابط فيها تحت إمرة طارق بن زياد مولاه، وكانت في ألف وسبعمائة رجل، بما إنضم إليه من البربر، فأرسل اليهم موسى سبعة وعشرين فقيها يعلمون الناس أمور الشريعة الاسلامية واللغة العربية[٢].

وأما عمر بن عبد العزيز فقد أرسل (عام١٠٠هـ/٧١٨م) عشرة من كبار التابعين الى أفريقية والمغرب، منهم، عبد الرحمن بن رافع التنوخي، وسعد بن مسعود التجيبي، وذلك برفقة اسماعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر (الوالي المعين على الاقليم)، فإنتشر هؤلاء في مناطق مختلفة لتعليم حديثي العهد من أهله بالإسلام: القرآن الكريم واللغة العربية، وإيقاف المسلمين الجدد على ما حرم الله عليهم وأحله لهم[٣].

وأما الجيش الإسلامي الذي عبر الى الأندلس بقيادة طارق بن زياد فكان فيه صحابي واحد هو المنيذر الأسلمي الأفريقي[٤]، وعدد من التابعين؛ وقد أسهم هؤلاء في إثراء المعرفة سواء لدى الجند الفاتحين، أو أهالي البلاد المفتوحة.

---

(١) احمد، مصطفى ابو صنيف، دراسات في تاريخ الدولة العربية، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، ١٩٨٣، ص٣٧٧.

(٢) الرقيق القيرواني، ابراهيم بن القاسم، (ت٤٢٥هـ/١٠٣٣م): تاريخ افريقية والمغرب، تحقيق: عبد الله العلي الزيدان وعز الدين موسى، دار الغرب الاسلامي، بيروت، ١٩٩٠، ص٣٩-٤٠.

(٣) ابن عبد الحكم، ابو القاسم عبد الرحمن (ت٢٥٧هـ/٨٧٠م) فتوح مصر واخيارها، تحقيق: محمد صبيح، مكتبة ابن تميمية، القاهرة (د.ت)، ص٢١٣؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج٩٩/١.

(٤) ابن عبد البر، الاستيعاب، ج٤٨٥/٤؛ ابن الأثير أسد الغابة، ج٢٧٧/٥؛ انظر: محمد عبد الحميد عيسى، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٨٢، ص٧١-٧٢.

ولا شك في أنه كان لهؤلاء العلماء الفقهاء من الصحابة والتابعين دور كبير في تثقيف الناس وتعليمهم أمور الدين واللغة العربية وآدابها مما أسهم في إثراء الحركة الفكرية في تلك المناطق.

الخاتمة

يبدو أن الخلفاء الأمويين وولاتهم على الأقاليم قد أولوا الجانب التعليمي اهتماماً كبيراً، فكان يشجعون التعليم بمراحله المختلفة، فيتفقدون الكتاب؛ ويحرصون على وجود الفقهاء في المساجد، ودفعوا رواتب للمعلمين وحضوهم على ملاحقة التلاميذ وتدريسهم حتى إن رحلوا الى مناطق نائية.

كما أمروا بدفع إعانات للطلبة المنصرفين للتعلم والعلم، واستحدث الخلفاء الأمويين نظام التأديب، وظهر عندهم مصطلح التأديب، وحرصوا على اختيار المؤدبين لأبنائهم، وشاركوهم في وضع المناهج الخاصة بتعليمهم، والعقوبات التي يجب أن ينزلوها بهؤلاء الأبناء في حال تكاسلهم.

ومهما يكن من أمر فإن ما تحقق في العصر الأموي من وسائل التعليم ما كان أن تتم وتزدهر لولا تضافر الجهود على المستويين الرسمي والشعبي، وإن كانت قليله إلا إنها شكلت أساساً لتقدم الحركة العلمية العربية الإسلامية التي ازدهرت في العصر العباسي.

أدى انتشار التعليم في أنحاء مختلفة الدولة الأموية، ونشوء مراكز العلم في المدن الرئيسة مثل: مكة والمدينة ودمشق والبصرة والكوفة والفسطاط والقيروان، الى ازدهار الحركة الفكرية، وقد أسهم الخلفاء والولاة والعلماء والمساجد بدور فعّال في دفع التعليم والحركة العلمية الى الأمام بطريقة مباشرة أو غير مباشرة.

ثبت المصادر

- ابن الأثير، علي بن محمد (٦٣٠هـ/١٢٣٢م) الكامل في التاريخ، طبعة دار صادر المصورة، بيروت، ١٩٦٥، ج٥.
- ابن الأثير، علي بن محمد (ت٦٣٠هـ/١٢٣٢م) أسد الغابة في معرفة الصحابة، تحقيق: محمد البنا وآخرون، كتاب الشعب، القاهرة، ١٩٧٠، ج٢.
- ابن الجوزي، ابو الفرج عبد الرحمن (ت٥٩٧هـ/١٢٠٠م) سيرة ومناقب عمر بن عبد العزيز، تحقيق سمير زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨١.
- ابن النديم، محمد بن اسحق (ت٣٨٥هـ/٩٩٥م)، كتاب الفهرست، تحقيق: رضا تجدد الماز نذراني، دار المسيرة، بيروت، ١٩٨٨هـ.
- ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي (ت٨٥٢هـ/١٤٤٨م) الإصابة به تهذيب التهذيب، طبعة حيدر أباد الدكن ١٣٢٥-١٣٢٧هـ، ج٦.
- ابن خلكان، أحمد بن محمد (ت٦٨١هـ/١٢٨١م) وفيات الأعيان، تحقيق: احسان عباس، داء صادر، بيروت، ١٩٦٨م، ج٦.
- ابن خياط، خليفة، (ت ٢٤٠هـ/٨٥٤م) التاريخ، تحقيق: أكرم العمري، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٧٧هـ.
- ابن سحنون محمد: آداب المعلمين، تحقيق: محمد العروسي المطوي، تونس ١٩٦٢ .
- ابن سعد، محمد بن منيع (ت ٢٢٤هـ/٨٣٨م)؛ الطبقات الكبرى، بيروت، دار صادر (د.ت)، ج٥.
- ابن سلام، او عبيد القاسم، كتاب الأموال، تحقيق: محمد خليل هراس، دار الفكر، القاهرة، ١٤٠١هـ.
- ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله (ت ٤٦٣هـ/١٠٧٠م) الاستيعاب في معرفة الاصحاب، تحقيق: محمد البخاري، مكتبة نهضة مصر، (د- ت) القاهرة، ج١٩٣٤/٤.
- ابن عبد الحكم، ابو القاسم عبد الرحمن (ت٢٥٧هـ/٨٧٠م) فتوح مصر واخيارها، تحقيق: محمد صبيح، مكتبة ابن تميمية، القاهرة (د.ت).
- أبن عبد ربه، احمد بن محمد (ت٣٢٨هـ/٩٤٠م) العقد الفريد، تحقيق: محمد العريان، دار الفكر (د.ت)، بيروت، ج٥.

- ابن عذاري، محمد المراكشي (ت بعد٧١٢هـ/١٣٠٢م) البيان المغرب في اخبار الأندلس والمغرب، تحقيق: ج س كولان وليفي بروفنسال، دار الثقافة (مصوره عن طبعة باريس)، ١٩٤٨، ج١.
- ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج١٩٨/٢١، ملكه ابيض، التربية والثقافة.
- ابن عساكر، علي بن الحسن (ت٥٧١هـ/١١٧٥م) تاريخ مدينة دمشق، دراسة وتحقيق: عمر بن غرامة العموري، دار الفكر، بيروت، ١٤١٥هـ، ج٧.
- ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم (ت ٢٧٦هـ/٨٨٩م): المعارف، تحقيق: ثروت عكاشة، القاهرة، دار المعارف، ١٩٨١.
- ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم (ت٢٧٦هـ/٨٨٩م) عيون الأخبار، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، ١٩٧٣، ج٢.
- ابن كثير، اسماعيل بن عمر، (ت٧٧٤هـ/١٢٧٣م)، البداية والنهاية؛ ط٣، مكتبة المعارف، بيروت، ١٤٠١هـ، ج٨.
- ابن ماجة، محمد بن يزيد القزويني: سُنن، تحقيق محمد عبد الباقي، بيروت، (د.ت)، ج١.
- ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم (ت٧١١هـ/١٣١١م)، لسان العرب (مادة كتب) ج٦٩٩/١؛ بيروت، طبعة دار صادر (د. ت).
- ابو الفرج الأصفهاني، علي بن الحسين (ت٣٥٦هـ/٩٦٩م) كتاب الأغاني، دار احياء التراث العربي، بيروت، ١٣٩٢هـ، ج١٨، طبعة بولاق، ١٢٨٥هـ.
- ابيض، فلكة، التربية الثقافة العربية الإسلامية في الشام والجزيرة، خلال القرون الثلاثة الأولى للهجرة، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٠.
- احمد شلبي، تاريخ التربية الاسلامية، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٨٠ .
- أحمد، سعد مرسي، سعيد اسماعيل علي، تاريخ التربية والتعليم، عالم الكتب، القاهرة، ط١٢، ٢٠٠٤م.
- احمد، مصطفى ابو صنيف، دراسات في تاريخ الدولة العربية، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، ١٩٨٣.

- الأصبهاني، ابو القاسم حسين بن محمد (ت٥٠٢هـ/١١٠٨م): محاضرات الأدباء، دار مكتبة الحياة، بيروت، (د.ت)، ج١.
- البسوي، يعقوب بن سفيان (ت٢٧٧هـ/٨٩١م) كتاب المعرفة والتاريخ، تحقيق: أكرم صفياء العمري، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨١، ج٢.
- البلاذري، احمد بن يحيى (٢٧٩هـ/٨٩٢م): فتوح البلدان، تحقيق رضوان محمد، دار مكتب الهلال، بيروت، ١٣٩٨هـ.
- البلاذري، احمد بن يحيى (ت٢٧٩هـ/٨٩٢م)، أنساب الأشراف، تحقيق: احسان عباس، بيروت، ١٩٨٠، ج٤، قسم (١).
- بن حزم، علي بن احمد الأندلسي، (ت ٤٥٦هـ/١٠٦٣م)، جمهرة أنساب العرب، تحقيق: عبد السلام هارون، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٧.
- الجاحظ، عمرو بن بحر، (ت٢٥٥هـ/٨٦٨م) البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٧٥هـ، ج١.
- الجزري، أبو الخير محمد بن محمد (ت٨٣٣هـ/١٤٢٩م) غاية النهاية في طبقات القراء، نشره برجستر أسد، طبعة مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٣٢.
- حسين عطوان، الرواية التاريخية لبلاد الشام من العصر الأموي، دار الجيل، عمان، ١٩٨٦.
- خماش، نجدة، الإدارة في العصر الأموي، دار الفكر، دمشق، ١٩٨٠هـ.
- الذهبي، محمد بن أحمد، (ت ٧٤٨هـ/١٣٤٨م) سير اعلام النبلاء، تحقيق: مجموعة من الباحثين، مؤسسة الرسالة، ١٩٩٣هـ، ج٥.
- الرقيق القيرواني، ابراهيم بن القاسم، (ت٤٢٥هـ/١٠٣٣م): تاريخ افريقية والمغرب، تحقيق: عبد الله العلي الزيدان وعز الدين موسى، دار الغرب الاسلامي، بيروت، ١٩٩٠.
- الزركشي، محمد بن عبدالله: اعلام الساجد بأحكام المساجد، تحقيق: ابو الوفا مصطفى المراغي، القاهرة ١٣٨٥هـ .
- الزرو، خليل دواد؛ الحياة العلمية في بلاد الشام، دار اللآفاق الجديدة، بيروت، ١٩٧١هـ.
- السجستاني، أبو حاتم سهل بن محمد (ت٢٥٥هـ/٨٦٨م)، المعمرون والوصايا، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٩٦١.

- سزكين، فؤاد، تاريخ التراث العربي، ترجمة محمود فهمي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ١٤٠٣م، م٢، ج٣.
- الظاهر احمد الراوي: القاموس، ط٢، (ليبيا، الدار العربية للكتاب)، ١٩٧٨.
- عامر بن جبله، تاريخ التربية والتعليم في صدر الاسلام، نشر المؤلف ١٩٩٨ .
- عبد الدائم، عبد الله، التربية عبر التاريخ في العصور القديمة حتى أوائل القرن العشرين، دار العلم للملايين، بيروت، ط١، ١٩٧٣م.
- العقيلي، عمر بن سليمان، تاريخ الدولة الأموية (٤١-١٣٢هـ)، ط٢، الجمعية التاريخية السعودية، سلسلة الأعمال العلمية المحكمة، الرياض، ٢٠٠٦.
- العمد، احسان صدقي، الحجاج بن يوسف الثقفي، دار الثقافة، بيروت، ١٩٨١هـ.
- القرطبي، محمد بن أحمد (ت٦٩٣هـ/١٢٩٤م): الجامع لأحكام القرآن، بيروت، ١٩٦٧، ج١.
- كتاب أنباء نجباء الأبناء، تحقيق: لجنة احياء التراث العربي، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٩٨٠.
- محمد السيد الوكيل، الحركة العلمية في عصر الرسول (ﷺ) وخلفائه، دار المجتمع، جدة، ١٩٨٥م.
- محمد عبد الحميد عيسى، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٨٢.
- محمد عيسى صالحية، مؤدبو الخلفاء في العصر الأموي، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، مجلد (١)، عدد (٣)، الكويت، ١٩٨١.
- ياقوت الحموي، (ت٦٢٦هـ/١٢٢٩م) معجم الادباء، تحقيق مرجو ليوث، لندن، ١٩٠٧-١٩٢٧، ج١٢.